

# الجولة الثالثة

## وهي كذلك في الحكم العقلي والعادي والشرعي

ان الحكم العقلي يقابله الجهل ، وان الحكم العادي يقابله الجهل ، وان الحكم الشرعي يقابله الجهل والهوى • والاسلام هو الذى يطلق للعقل وللتجريب مداهما • وهو الذى يحدد للانسان السلوك على ضوء الحكم الشرعي فيستقيم امره • ومن ثم كان الاسلام يقابله الجاهلية فحيث انطلق الانسان من غير الاسلام ، فتلك الجاهلية الكبرى وحيث آمن بالاسلام وانحرف عنه في التطبيق فيما لا يعتبر كفرا فتلك الجاهلية الصغرى • ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر في خطبته أخطأها اذ غير انسانا بسواد أمه : « انك امرؤ فيك جاهلية » •

ان الانسان الذى قبل الاسلام والتزم به هو الذى يتحرر من انجاهلية كلها التى هى جهل وهوى ، اذ أنه يعطى للأحكام العقلية مداها ويقبل الأحكام العادية ، وينطلق على ضوء الأحكام الشرعية المنزلة من لدن حكيم خبير عليم ، وأما من سوى المسلم فليس كذلك كائنا من كان فهو اما معطل بعض قوانين العقل واما أنه غير بان عليها واما أنه معطل للأحكام العادية واما أنه سائر على هوى ، وكل ذلك بدايته جهل وجاهلية وهوى ونهايته كذلك •



وللأسف فان المسلم الذى شأنه في هذا العالم أنه الانسان غير الجاهلى بمعنى أنه لا ينطلق من جهل وهوى أو من جهل أو من هوى • هذا المسلم في الغالب قد طرأت عليه أشياء كثيرة جعلته مريضا فبدلا من

أن يكون حجة لدين الله بفكره وسلوكه ومواقفه ، أصبح حجة على دين الله • وهذا الذى حذر الله عز وجل منه ••

قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم ، والله غفور رحيم • لئلا يعطم أهل الكتاب ألا يقدرّون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتّيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » (١) ••  
أى اتقوا الله وآمنوا برسوله •••

ليعلم أهل الكتاب فضل الله عليكم : فمن خلال المسلم يعلم الآخرون ما به تقوم الحجة عليهم • وقد حذرنا الله من مواقف نصد بها عن سبيل الله فقال : « ولا تتخفوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ، ولكم عذاب عظيم » (٢) •

ان المسلم الذى كان ينبغى أن يكون حجة لدين الله أصبح فى كثير من الأحوال حجة على دين الله اما فى فهمه أو فى سلوكه أو فى واقع مجتمعه المتخلف عقليا أو عمليا أو سياسيا أو سلوكيا •

ومن ثم كان لابد من عودة الى نصوص الاسلام المتمثلة بالكتاب والسنة والى دراسة علوم اللغة العربية ليكون الفهم للنصوص سليما ، والى دراسة علم أصول الفقه لتكون معرفتنا بطرق استنباط الأحكام الشرعية عن الكتاب والسنة صحيحة ، والى دراسة العلم الذى به نضع الأحكام العقلية والعادية والشرعية كل منها فى محله الصحيح سواء سمى بالمنطق أو أعطيناه اسما آخر • ولا بد من دراسة العلوم التى انبتقت عن ذلك كله لتعطينا صفاء الاعتقاد والسلوك وهى علوم العقائد والفقه والتصوف ولا بد أن يكون ذلك كله محررا منقحا ، تلك قضية هذا الكتاب فليمش معنا القارىء وسيرى ضرورة ذلك شيئا فشيئا • ولقد أطلقنا على الفقه اسم : الفقه الكبير ، ومن قبل سموا علم العقائد : بالفقه الأكبر ، واعتبروا التصوف جزءا منه ، ولاشك أن أصول ذلك داخلة فى هذه العلوم •



• (٢) النحل : ٩٤

• (١) الحديد : ٢٨ ، ٢٩

ومن العودة الى موضوع الحكم العقلي والعادى والشرعى سنرى  
بعض الضرورات الأولى لهذه الدراسة •

انه من أعظم القفزات فى تاريخ العقل البشرى ما نشأ فى الفكر  
الاسلامى فيما سُمى بالحكم العقلى والحكم الشرعى والحكم العادى  
والقواعد التى تضبط كلا من الحكم العقلى أو الشرعى أو العادى وصله  
هذه الأحكام ببعضها ، ان هذه القفزة هى أعظم ترق عرفه العقل  
البشرى ، ويستحيل أن تقوم الحياة البشرية بسواه ، ومن المؤسف أن  
يتخلف بعض المسلمين عن هذه القمة التى خدمهم بها السلف فيسقطوا  
سقطات مريعة ان فى قضايا الحكم العقلى أو فى قضايا الحكم الشرعى  
أو فى قضايا الحكم العادى ، وهذا موضوع صغير البدايات كبير  
النهايات واسع الحثيات ، ومن أين أخذاه الانسان وجد الكلام فيه  
واسعا ومهما تكلم فيه وجد الكلام فيه أقل مما ينبغى ، انه لمن الكوارث  
العالمية أن تضع معالم قضايا الحكم العقلى والشرعى والعادى ولكن  
انكارته فى حق المسلمين تبدو أكبر •

ان انطلاق المسلمين بعيدا عن الحكم الشرعى بسبب سوء الفهم  
وعدم معرفة كيفية انبثاق الحكم الشرعى من أفضع أمراض العصر •

وان اهدار بعض المسلمين ، لقضية الحكم العادى جعلهم بعيدين  
جدا عن عصرهم ، وان نسيان الحكم العقلى أصلا جعل الحياة العقلية  
عند بعض المسلمين ضامرة ، وليس أمام المسلمين الا العودة الواعية  
لهذه القضايا ، ولعل المذاهب التوحيدية والفقهيية هى أعظم تطبيق عملى  
لاعطاء هذه الأمور مداها ولنسجل هنا مجموعة ملاحظات تجعلنا نستقر  
على وضوح فى هذا الشأن •

الملاحظة الأولى : أبناء المسلمين فى عصرنا يسرون فى خطين  
متباعدين ان فى الفهم أو فى التطبيق أو فى السلوك أو فى المواقف السياسية  
المحلية أو العالمية •

الخط الأول خط يدعى الواقعية فيلغى بحجتها الاسلام ونصوصه  
فلا اسلام فى التبنى ولا فى التطبيق ولا فى التربية ولا فى المواقف  
السياسية محليا أو عالميا •

والخط الثانى يفهم الاسلام ونصوصه فهما نظريا دون أن تكون

لديه القدرة على التلاؤم مع العصر في التطبيق أو في السلوك أو في  
المواقف السياسية المحلية أو العالمية على ضوء الاسلام وعلى أساس  
منهاجه .

لقد استغل الخط الأول المرونة العظيمة في الاسلام التي أعطاها  
الله لأهل الاسلام من أجل أن يتحركوا في أى وضع وفي أى حال الحركة  
المناسبة والمكافئة . استغل هؤلاء هذا الموضوع ليلغوا الاسلام كله  
بحجة هذه المرونة .

ولقد سيطرت على الخط الثانى قضية الصلابة في أمر دين الله وأمر  
الله للمسلمين بالمفاصلة التي لا تقبل مداهنة على دين الله حتى فاتتهم  
الرؤية الصحيحة لما يأمر به الاسلام من احسان في العمل والتعامل  
والحركة والأسلوب بما يمليه كل وضع ، وما يحتاجه كل عصر ، وما يضطر  
اليه كل موقف على ضوء الاسلام نفسه من خلال رخصة وعزيمة  
واختيار واضطرار والحالات العادية وحالات الضرورة والأصل العام  
والوضع الاستثنائى . لقد فات بعض المسلمين رؤية هذه المعانى  
كما فات بعضا آخر رؤية أخرى .

وباستغراق هذين الخطين أكثرية أبناء المسلمين يبقى الاسلام  
معلقا في الفضاء ، فلا هو أخذ مكانه في التطبيق ولا هو مرفوض ، رفضا  
مطلقا ، بل يصير حتى أهل الخط الأول الا القليل منهم على أنهم مسلمون ،  
وغياب قضية الحكم الشرعى وضوابط كيفية انبثاقه والمؤثرات فيه عامل  
من عوامل هذا الوضع .

ولا شك أن الخلل سببه خطأ الفهم الذى ينبع عنه كل خطأ آخر ،  
ثم يأتى بالدرجة الثانية سوء التطبيق فعندما يفهم أحد أن بالامكان أن  
نتخلى عن جزء من الاسلام بسبب ضغط ما فانه يكون مخطئا في الفهم ،  
وعندما يفهم فاهم أن حرية المناورة السياسية أو العسكرية معدومة في  
الاسلام يكون مخطئا في الفهم ، وعندما يفهم فاهم أن الرفض الدائم هو  
الأساس في تعاملنا مع العالم يكون مخطئا في الفهم ، وعندما يفهم فاهم  
أن الرأى العام لا ينبغى أن يعطى أى أهمية حتى في الحدود التي  
لا يترتب على مراعاته فيها ارتكاب محذور يكون مخطئا في الفهم ،  
وعندما يفهم فاهم أن الأصل في تعاملنا اليومي مع غيرنا الجفاء والغلظة  
في كل أمر يكون مخطئا في الفهم وجاهلا في الحكم .

وعندما يقف زعيم من حكام المسلمين بجانب الكافرين ضد المسلمين ظلماً بحجة مراعاة الرأي العام العالمى ، أو ارضاء للكافرين يكون مخطئاً فى الفهم ومخطئاً فى التطبيق ، وعندما يؤذى مسلم جاره غير المسلم يكون مخطئاً فى الفهم ومخطئاً فى التطبيق ، وبسبب الخطأ فى الفهم والخطأ فى التطبيق يبقى الاسلام ، معلقاً فى الفراغ ، وان ادعاء الجميع ، وكل ذلك مرجعه الى غياب معرفة الحكم الشرعى ومعرفة القواعد الضابطة له .

فاذا ما اجتمع سوء الفهم وسوء التطبيق مع العرض المجافى للعلم والنص وكل ذلك باسم الاسلام تكون الكارثة أكبر ولنتأمل فيما يأتى لندرك أبعاد الموضوع .

فى الاسلام تبنى العقائد على النصوص المتواترة لفظاً أو معنى وعلى ما وافقها أو فصلها من السنة الصحيحة ، والحسنة السند . وتبنى الأحكام العملية فيه على النصوص المتواترة أو الصحيحة السند أو الحسنة السند اذا لم يعارضها غيرها ، فاذا عارضها فهناك التحقيق ثم الترجيح أو التوقف ، فعندما تجد نصاً ضعيف السند مردود المعنى يبنى عليه بعض المسلمين عقائدهم ، وعلى مقتضى هذا البناء يفاصلون المسلمين ، ثم يعرضون الاسلام كله من خلال ما اعتقدوه أو طبقوه تدرك المأزق الذى وضعوا فيه دين الله ، فاذا تدنت المسألة درجة زادت الكارثة . كأن يكون ما تبنيه ليس آية أو حديثاً بل قولاً حتى لغير امام من أئمة الاسلام وهذا القول يعارض الكتاب والسنة ، ويعارض العلم ثم يقدمون هذا على أنه دين الله وما سواه غلط ومن ناقشهم فيه حكموا بضلالة فما أشد الكارثة .

مما طرحه بعضهم أن المطر الذى ينبت الزرع ويحيا به الخلق ليس من السحاب . وانما هو من السماء أى التى تحدث عنها القرآن على أنها سكن الملائكة ، واليهما تعرج أرواح المؤمنين وفيها الجنة هذا مع أن الناس الآن قد خرجوا فوق الغلاف الجوى ، ولم يشهد أحد نقطة ماء واحدة تأتى من فوق السحاب ، وقد قال تعالى : «  **وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً** » (١) وقال تعالى : «  **أفرايتم الماء الذى**

(١) النبأ : ١٤ .

تشربون • أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون» (١) وقال تعالى :  
 « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا  
 به الأرض بعد موتها» (٢) •• فهنا تجتمع النصوص مع الحكم العادى  
 فى تقرير مسألة ومع هذا يوجد من يطرح خلافها ، وأصل القضية أن  
 خالد بن يزيد الأهوى الكيمياءى ينقل عنه بعض المفسرين أن المطر  
 مطران : مطر من السحاب ليس فيه نفع لشيء ومطر من السماء هو الذى  
 يكون فيه النفع من انبات وارواء • هذا القول الذى قاله خالد وهو ليس  
 مفسرا ولا محدثا ولا مجتهدا ولا عالما من علماء الاسلام يناقض  
 النصوص الصريحة ويناقض المشاهدة ومع ذلك يعرض على أنه الاسلام  
 وأن ما سواه ضلال ••

ليس سبب مثل هذا الطرح غياب قضية الحكم العقلى والشعرى  
 والعادى وعلاقة بعضها ببعض ؟

من مثل هذا الكلام الذى هو أثر من آثار غياب قضية الحكم  
 العقلى والحكم الشعرى والحكم العادى وعلاقة بعض هذه المعانى  
 ببعضها تنشأ هذه الأغلط وآلاف أمثالها •



إذا تأملت ما ذكرناه من المفاهيم الخاطئة لقضية المرونة والصلابة  
 فى دين الله ومن الوقوع فى خطأ مخالفة الحكم العادى أو من بناء الاعتقاد  
 على غير أصله الصالح له فانك تجد سر ذلك يرجع الى غياب التحقيق  
 فى فهم النصوص أو فى طريقة اعتمادها وحدود البناء على أنواع فهمها ،  
 أو بسبب غياب قواعد الفهم والاستنباط أو بسبب الغفلة عن دراسة  
 ما يوصل اليه الاستنباط الصحيح ، ترى هل يقع انسان درس فى مثل  
 هذا كله فى مثل هذه الأخطاء والتوهّمات التى ذكرنا نماذجها ؟ ••

انه من خلال الموقف من موضوع الصلابة والمرونة ومن خلال  
 رؤية ما يترتب على غياب قضايا الحكم العقلى والشعرى والعادى  
 نستطيع أن ندرك ضرورة دراسة الفقهاء الكبير والأكبر وأصولهما •

انه لو درس الانسان كتب الفقه فانه يستطيع أن يعرف عمليا  
 المسائل التى تجب فيها الصلابة ، والمسائل التى تجوز فيها المرونة بما

(٢) فاطر : ٩ •

(١) الواقعة : ٦٨ ، ٦٩ •

يسع الحياة كلها دون افراط أو تفريط أو غلو أو حرج مع دليل كل مسألة .

ولو درس علم أصول الفقه لتجنب كثيرا من الأغلاط الشائعة أو الأوهام القائلة ؛ ولعرف كيف يضع النصوص مواضعها وبدون ذلك فانه يبقى معرضا للأغلاط . انه حتى المحدثون يعتمدون في كثير من تحقيقاتهم ما وصل اليه الأصوليون من تحقيق فمثلا الموقف من خبر الآحاد والموقف من الخبر الضعيف والموقف من الخبر المتواتر هذه المواقف لم يبين المحدثون فيها على أقوال الأصوليين وأئمة الاجتهاد .

فالعلوم الاسلامية كل منها يخدم الآخر والتكامل هو الكمال .

\* \* \*

ولنعد الى قضية الحكم العقلي والعمادي والشرعي لأهمية هذه القضية في شرع الله وفي واقع الحياة ولصلتها في موضوعنا .

ان الطريق الى المعرفة الكاملة التجربة والمشاركة أو العقل المجرد أو النص الشرعي . اذ المعرفة هي الوصول الى الحكم ، والحكم ينقسم الى أقسام : الحكم الشرعي والحكم العقلي والحكم العمادي .

فالحكم العمادي توصل اليه التجربة والتأمل والمشاركة ، والعقل شرط في ادراكه والحكم العقلي المجرد يوصل اليه العقل المجرد .

والحكم الشرعي قسم له علاقة بالعقائد وقسم له علاقة بالأحكام العملية وقسم له علاقة بالنفس والقلب والشعور والسلوك والآداب .

والأحكام التي يتوصل اليها في العقائد الطريق اليها العقل وحده أحيانا ، والنص يوافق ذلك ، وأحيانا النص وحده والعقل لا يرفض ذلك ، والأحكام التي يتوصل اليها في الأحكام العملية الطريق اليها نصوص الكتاب والسنة أو الاجماع أو القياس . والأحكام التي يتوصل اليها في التصوف الطريق اليها النص وتطبيقه والتجربة العملية المنضبطة بالعقائد والفقه .

ولابد من فهم حدود التجربة والمشاركة والتأمل والأحكام التي توصل اليها ، ولابد من فهم حدود العقل ، ولابد من فهم صحيح للنصوص وعلى ضوء هذا كله وجد علم العقائد وعلم التصوف وعلم

الفقه • ومن أجل الصواب الدقيقة لعلم الفقه والتصوف وجد علم أصول الفقه ومن أجل الصواب الدقيقة لعلم التصوف وغيره وجد علم العقائد ، ومن أجل الصواب الدقيقة لعلم العقائد وجد علم المنطق الاسلامي بعد تطويره عن المنطق اليوناني •

ومن ادراكنا لهذه الأمور ندرك أهمية الدراسة المستوعبة للمفهوم الكبير والأكبر وأصولهما •

\* \* \*

ان المسلم يعطى للعقل ولقوانينه مدهما ، ويعطى للتجريب والمشاهدة والتأمل وما يوصل اليه من قطعيات مداها ، ويعرف كيفية الوصول الى ما ينبغي أن يلتزمه في حياته كلها ان في علاقته مع الله أو في علاقته مع خلقه • هذه الدوائر الثلاث لا يعطيها حقها أحد الا المسلم العليم •

هذه المعاني آفاقها في الاسلام واسعة المدى ومنضبطة الى أقصى صور الانضباط وانها لمظهر من مظاهر كون هذا القرآن يدل على طريقها الأقوم الأخصر لأنه يدل على الصراط المستقيم ، والخط المستقيم ، أقصر بعد بين نقطتين ، قال تعالى : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » (١) • ان البشرية تبحث عما تلزم به نفسها وكيفية تعاملها مع بعضها وتضل في هذا كله ، ويستهوئ الكثير من الناس هوس القضايا التجريبية فينسون قضايا العقول وأحكام العقل • وكثيرون من الناس ينسون عالم الأسباب أصلا وهم يتكلمون في شؤون الديانات • ولكن ادراكا دقيقا لقضايا الحكم العقلي والعادي والشرعي في الاسلام يضع هذه الأمور كلها في مواضعها فالطريق الى الالتزام هو الحكم الشرعي ثم الشورى والطريق الى الحكم العقلي هو العقل بقوانينه وضوابطه ، والطريق الى الحكم العادي هو التجربة والمشاهدة • ولا يتناقض حكم شرعي مع حكم عقلي أو عادي ، ولا يتناقض حكم عادي مع حكم عقلي ، والحكم الشرعي يبني على الحكم العقلي والعادي البناء الصحيح ، ويوجه العقل ، ويسدد التجربة والمشاهدة ويعلمنا كيف نبني على ذلك بناء صحيحا والمسلم الذي يفرط في دراسة العلوم

(١) الاسراء : ٩ •

الخمسة التي ذكرناها تغيب عنه قواعد أو فروع في هذا الموضوع .

\* \* \*

ان الفارق بين المسلم والكافر في القضايا التجريبية أو في قضايا الحكم العادي يعود الى أن الكافر يقتصر دوره على تسجيل الظاهرة ، أما المسلم فيسجل الظاهرة ، ويبحث عما تدل عليه ، ويستكشف الآفاق التي وراءها . ففي علم النفس مثلا يسجل الظاهرة . ويبحث عما تدل عليه ويستكشف الآفاق التي وراءها ، فيسجل ما له علاقة بظواهر النفس من انتباه وذاكرة وابداع وتخيل وشعور وغير ذلك كما يسجله الكافر ، ولكن المسلم مع تسجيله ذلك كله فان له آفاقه الخاصة بالبحث والتي لا يجيب عنها الجواب الصحيح الا هو ، ما هي هذه النفس ؟ ومن أوجدها ؟ وصلتها بالعقل وصلتها بالقلب والروح والفارق بينها وبين النفس الحيوانية كل ذلك وغيره كثير لا يجيب عليه الا المسلم بسبب وجود ما يسمى في الاسلام بالحكم العادي والحكم العقلي والحكم الشرعي .

ان المسلم يسجل كما يسجل الكافر قوانين هذا الكون ، ويعرف كما يعرف الكافر مبادئ العقل ، ولكن الكافر لا يعطيها مداها ، والمسلم يمد عليها مداها ، فيعطي قانون السببية وقانون الغائية وغيرها من قوانين العقل مداها (١) ، قال تعالى : « فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الشهوات الدنيا . ذلك حب لشيئهم من النعم » (٢) . فالفارق بين المسلم والكافر أن الكافر يقف عند ظواهر الحياة الدنيا ، أما المسلم فيعرفها ولكن لا يقف عندها وكل ذلك أثر عن الحكم الشرعي والعقلي والعادي .

من هذين المثالين ندرك الآفاق الواسعة التي تترتب على وضوح قضية الحكم العقلي والعادي والشرعي عند المسلم . ولن يصل المسلم الى معرفة آفاق ذلك كله وآثار ذلك كله الا من خلال دراسة للعلوم الخمسة : أصول الفقه ، المنطق الاسلامي ، الفقه ، العقائد ، التصوف المحرر .

(١) هناك ملاحظات على بعض هذه التسميات فليلاحظ ذلك .

(٢) النجم : ٢٩ ، ٣٠ .

ونؤكد هنا كما أكدنا في كل مرة أننا نعتبر من البديهيات الأولى في الثقافة الإسلامية أن يأخذ المسلم حظه من دراسة الكتاب والسنة فهذا هو الأساس الأول وهذا لا يعارض ما نحن فيه بل ما نحن فيه هو المكمل وبذلك كله يكون التكامل الذي فرضه السير الطويل لهذه الأمة في هذا العالم .

والصحابي كما لم يكن محتاجا الى دراسة نحو وصرف وبلاغة بحكم ادراكه الفطري للمعاني لم يكن بحاجة لكثير مما احتاجه المسلم بعد ذلك لأسباب تاريخية أو محلية أو طارئة ولكل عصر جديد الذي يحتاج الى مكافئ .

\* \* \*

ان هناك عقلا .. وان هناك شرعا .. وان هناك كونا ..

العقل هو الذى يدرك الكون ويعرف الشرع ، والعقل هو الذى يدرك الحكم العادى أو الحكم التجريبي .

العقل هذا ما هو ؟ ما طبيعته ، ما مبادؤه ؟ الحكم العادى ما هي ضوابطه ؟ الشرع ما هو ؟

من خلال الاجابة الصحيحة على كل هذا وهى اجابة لا نجدها الا فى الاسلام يظهر الفارق بين التصور الاسلامى والتصور الكافر ان فى موضوع العقل أو فى أحكامه أو فيما ينبثق عن أحكامه ومبادئه ، وشيء عادى أن يكون هناك اشتراك بين المسلمين والكافرين فى الوصول الى حكم مشترك فى بعض القضايا وهن ثم نجد علوما مشتركة كالمنطق وضوابط الحكم التجريبي ولكن يظهر الفارق الكبير فيما سوى ذلك .

\* \* \*

واذ نجد أن القرآن الكريم هو الذى أعطى الجواب الكامل على موضوع العقل وأحكامه وعرفنا على طريق الحكم العادى والشرعى والعقلى ، وبين لنا ضوابط ذلك بما نعرف به حدود الحكم العقلى والحكم الشرعى والحكم العادى .. ان تعريف القرآن لنا على ذلك كله وتكليفنا به وحضنا عليه ثم هو مع ذلك كله قد وسعت آياته كل ما يلزم الانسان ، ان هذا وحده كاف ليدلنا على أن هذا الدين دين الله ، وفى الوقت نفسه ندرك كم من القصور فى الرأى والعمل أن نقصر عن

إدراك هذه المعاني وتفصيلاتها وألا نعطي دراستها حقها • اننا بذلك نكون قد قفزنا من القمم السامقة التي كلفنا الله عز وجل أن نكون فيها إلى أدنى مما ينبغي أن نكون فيه • واننا لنقول للعازفين عن دراسة العلوم الخمسة التي يتم لنا بها تكامل الفهم : ان دراسة النصوص القرآنية والحديثية خلال العصور انما قدمها لنا ناس أتقنوا العلوم التي ذكرناها ولولا ذلك ما قدموا لنا الذي قدموه ، فليتأن كثيرا الذين يهربون من العلوم الخمسة التي عددناها فلو لم تكن ضرورتها الا في تحقيق ما ذكرناه هنا لكفى ، ولكن الأمر أوسع مدى كما رأينا وسنرى •



« الحكم العقلي في التعريف الاسلامي هو اثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار أو وضع واضح » هذا تعريف الحكم العقلي المجرد أما الحكم العقلي المتوقف على التكرار فهو الحكم العادي وأما الحكم العقلي المتوقف على وضع واضح فهو الحكم الشرعي أو العرفي أو الوضعي البشري وهكذا •

« والحكم العادي اذن هو : اثبات الربط بين أمر وأمر وجودا وعدمه بواسطة تكرار القرآن بينهما على الحس » •

« وأما الحكم الشرعي في اصطلاح الأصوليين فهو خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين طلبا أو تخييرا أو وضعاً » • « وأما الحكم الشرعي في اصطلاح الفقهاء فهو الأثر الذي يقتضيه خطاب الشارع في العقل كالوجوب والحرمة والاباحة » ••

وهناك الحكم العرفي وهو الحكم المنبثق عن اعتماد الناس عرفا خاصا أو عاما وهناك ما يسمى الآن بالحكم الوضعي وهو الحكم الذي اتفقت على تشريعه لنفسها أو لغيرها طائفة من الناس •

والمسلم في القضايا التشريعية لا يقبل الا حكم الله المنبثق عن مجموعة الأصول التي ارتضاها الشارع للوصول الى حكمه من كتاب أو سنة أو قياس أو اجماع أو مصلحة مرسلة أو عرف صالح •• أو استحسان أو استصحاب •

والمسلم في القضايا العقلية يسلم للعقل السليم أحكامه السليمة • والمسلم في القضايا العادية التي تخضع للتجربة والمشاهدة وللتأمل يثبتها

كلها ، ويستحيل عنده أن يتعارض حكم عادى مع شرعى ، ويستحيل عنده أن يتناقض حكم عقلى مع حكم شرعى أو عادى • والمسلم وحده من بين خلق الله هو الذى يضع هذه الأمور مواضعها :

١ - ان هذا الضبط فى وضع الأمور فى مواضعها شىء هائل فى التفكير الانسانى •

٢ - ان المسلم كأثر عن هذا ذو عقل تجريبى فى الأمور التى تخضع للمشاهدة وللنأمل وذو عقل استقرائى فى مثل هذه الأمور واستنتاجى كذلك •

والمسلم عقله منضبط بموازين من العلم المطلق هى أثر عن ايمانه بالشرع وموازينه الكاملة •

والمسلم ينطلق من الحس لما وراءه مطلقا لعقله الوصول الى أحكامه • والمسلم يبني ايمانه بالشرع على العقل فى أدق موازينه ليصل فى النهاية الى قرار حكيم فى كل قضية وهذه مجموعة من الأمور لا تتوافر الا للمسلم •

هذا كل شىء واضح فى الفكر الاسلامى ومع ذلك نجد خلطا كثيرا وخطأ كثيرا عند الكثير من الناس أليس ذلك نقصا فى الثقافة الاسلامية ككل وفى العلوم التى تبحث فى هذه الأمور بالذات ؟



وكأثر عن قضية الحكم العقلى والعداى والشرعى انبثقت مجموعة من الموازين والقواعد والقوانين لا يوجد لها مثيل اطلاقا فى أى فكر علمى • وقد أبرز الدكتور محمد سعيد رمضان البوطى فى مقدمة كتابه « القيم كبرى اليقينيّات الكونية » أهمية قاعدة من هذه القواعد وهى قاعدة : « ان كنت ناظرا فالصحة أو مدعيا فالدليل » فأقام الحجة من خلالها على أنه لا أحد فى هذا العالم يمتلك من موازين الوصول الى الحقيقة ما يمتلكه المسلمون وأن كل الموازين التى فتن بها أصحابها وغيرهم من الغربيين لا تساوى شيئا فى باب الوصول الى بعض الحقائق بالقياس الى ما عند المسلمين •

ونحن هنا لا نريد أن نتوسع فى هذا الموضوع لأن التوسع فى هذا الموضوع محله الكلام اما فى العقائد أو فى علم المنطق أو فى علم أصول

الفقه وانما أحببنا هنا أن نلم المامة سريعة لها صلة بموضوع هذه  
ابرسالة •

\*\*\*

٣ — ان القضايا التي يتوصل اليها الانسان بالتجربة أو المشاهدة  
أو التأمل هي جزء من التفكير الاسلامي • فاذا استطاعت أمم في العالم  
أن تصل في هذه الأمور الى مدى واسع فذلك لا يتناقض مع تفكيرنا •

٤ — ان الذين يلغون الحكم العادي من المسلمين ويعارضون بين  
المشاهد حسا وبين النصوص الشرعية أو الأحكام العقلية ناس تفكيرهم  
خاطيء اسلاميا •

٥ — وان القضايا التي يتوصل اليها الانسان بالعقل المجرد قضايا  
مسلمة اسلاميا ما دام هذا العقل يسير على مبادئه ، وأحكامه السليمة  
الصحيحة •

٦ — ان المسلمين مع كونهم في قضايا التجربة وقضايا العقل قد  
أخذوا حظهم كاملا ، فانهم مع هذا وهذا أكرمهم الله عز وجل بشريعة  
وضعت لهم كل شيء في محله : قضايا التجريب مع قضايا العقائد والأخلاق  
والسلوك والعبادات والشرائع والشعائر وأطلقت لهم أن ينطلقوا على  
هدى الثورى في ضوء المسلمات حيث لا حكم شرعيا في أمر •

والمسلمون الذين لم يدركوا أهمية هذا أو ايجابيته أو الذين لم  
يعرفوا هذا أصلا أو الذين لا يضعون الأمور مواضعها في هذا كله قد  
ابتعدوا بعدا كثيرا عن الصراط المستقيم • وانا لنقول ان آفاق هذه  
المعاني كلها لا تدرك الا بثقافة اسلامية متكاملة تشكل العلوم الخمسة  
جزءا رئيسيا منها •

\*\*\*

ومن نافلة القول بعد كل ما قدمنا أن نقول :

انه نتيجة عن وجود شيء اسمه الحكم العقلي نشأ علم المنطق  
الاسلامي الذي بنى على المنطق اليوناني وانفرد عنه • ونتيجة لوجود  
الحكم الشرعي وجد علم أصول الفقه الذي ضبط قواعد استنباط الحكم  
الشرعي • وكلا من الحكم العقلي أو الحكم الشرعي لاحظ الحكم العادي  
ولم يبلغه بل بنى عليه ووضعه في محله • وعلى ضوء ذلك انبثق علم

الاعتقاد وعلم التصوف وعلم الفقه وكلها علوم اسلامية ، مبنية على مجموعة أحكام العقل والشرع والتجريب •

ودراسة ذلك كله عدا عن كونها متعة وزادا فانها فريضة واجبة على كل انسان كل على قدر استعداده وحدود طاقاته ودائرة مسؤوليته ونوع بيئته وطبيعة ما يواجهه وما يمكن أن يواجهه • وعلى علماء المسلمين في هذا العصر أن يقننوا هذا كله غضا طريا لكل أصناف الناس وبالأسلوب المناسب لكل طبقة مستفيدين من طرائق التحقيق المعاصر ونتاج الفكر المعاصر في كل ما يخدم الوصول الى حكم صحيح •

قد يقول قائل : هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أرقى الناس وأنتى الناس وأعلم الناس وأكثر الناس اقامة لدين الله ، فأين محل هذه الأمور في دراستهم ؟ ونقول : ان الضرورة والاحتياج تترتب عليهما فروض جديدة بقدر الموسع •

٧ — ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يحتاجون الى علوم اللغة العربية لأنهم يدركون المعنى بالسليقة حتى اذا أصبح الأمر على ما هو عليه أصبحت هذه العلوم فريضة اما على الكفاية واما على كل انسان •

وفي عصرنا اذ سبق الكافرون بسبب العلوم الكونية سبقا كثيرا فقد أصبحت هذه العلوم مفروضة اما على الكفاية واما على بعض الناس بأعيانهم وفي عصرنا اذ اختلط الحابل والنابل ، وتشعبت سبل الضلال وكثرت مصادر التلقى وصار كل انسان يقول اتبعونى فقد اختلف الأمر لقد أصبح كل مسلم بحاجة الى أن يكون على بصير بكثير من الأمور بينما المسلم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أشكل عليه أمر فر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم •

٨ — ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن قد تشعب السير ليحتاجوا الى أمور يقتضيها هذا التشعب ولكن بعد مسيرة أربعة عشر قرنا من الزمان جرى ما جرى وطراً ما طراً وطرح ما طرح ، ويعيش المسلم عصرا من نوع معين ويرث أمراضا كثيرة ودخنا كثيرا ويواجه دعوات متعددة فانه يحتاج الى دراسات لم يكن ليطلب بها لولا هذه

الظروف والاحتياجات ، ومع هذا فنحن لا نطالب كل الناس بشيء واحد  
وبقدر واحد فلكل ظروفه وأوضاعه ومواجهاته وأحواله •

\* \* \*

ولنعد الى أصل الموضوع :

لقد خلط ناس بين الحكم العقلي والحكم الشرعي ، والحكم العادي  
الذي منه الحكم التجريبي فاضطربت لذلك نظراتهم واختلطت تصوراتهم  
ولم يعرف ناس ضوابط الحكم العقلي وضوابط الحكم الشرعي وضوابط  
الحكم التجريبي وحدوده فحدث نتيجة لذلك غلط كثير وخطأ كثير  
وضلال كثير ، وهناك ناس لا يعيشون عصرهم ومن ثم فهم لا يفكرون  
في هذه الأمور أصلاً • وينطلقون ويريدون أن يوجهوا الناس الى حيث لا  
تقوم حياة ولا حضارة ولا دولة ولا تقوم للمسلمين قائمة في عصر من  
أخطر العصور في طبيعة صراعاته ، هؤلاء جميعاً لا دواء لهم الا أن  
يدرسوا ، وأن يكون جزءاً من دراساتهم علوم الفقهاء الكبير والأكبر  
وأصولهما زيادة على دراسات أخرى كثيرة ذكرناها في كتاب « جند الله  
ثقافة وأخلاقاً » •

\* \* \*